

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٦٠-٠٤): تفسير الآياتان ٨-٩ ، ميزان الحق العلم والعمل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٢-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .
أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس الرابع من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية الثامنة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨)

الإيمان بالله واليوم الآخر ركنان متلازمان :

أيها الإخوة ، ما من ركنين من أركان الإيمان تلازما في القرآن كركن الإيمان بالله واليوم الآخر ، فالإيمان بالله عز وجل هو أصل كل أنواع الإيمان ، لكن ما لم تؤمن أن الله يعلم ، وسيحاسب ، وسيعاقب لن تستقيم على أمره .

وقد وردت في القرآن الكريم آية هي أصل في الاستقامة :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

(سورة الطلاق الآية : ١٢)

اللام لام التعليل .

﴿ أَنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٢)

(سورة الطلاق)

حينما تعلم أن علم الله يطولك ، وأن قدرته تطولك ، وأنه يعلم ، وسيحاسب وسيعاقب ، وأنه في اليوم الآخر تسوى فيه الحسابات ، يؤخذ للضعيف من القوي ، وللفقير من الغني ، وللمظلوم من الظالم ، هذا اليوم حينما تؤمن به تنزاح عن صدرك هموم كالجبال .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣)

(سورة الحجر)

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (١٩٧)

(سورة آل عمران)

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) ﴾

(سورة إبراهيم)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) ﴾

(سورة إبراهيم)

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

١ - الميزان الشرعي :

أيها الإخوة ، هناك موازين في الأرض ، هناك آلاف الموازين ، لكن الله عنده ميزان ، البطولة ، والذكاء ، والتوفيق ، والتألق ، والفلاح ، والنجاح أن يكون ميزانك وفق ميزان الله ، والحمق ، والغباء ، وضيق الأفق ، والجهل أن تتوهم أن ميزانك الذي هو بعيد عن ميزان الله يكفي . مثلاً : حينما تعتقد أن المال هو كل شيء ، وأنتك بالمال تصل إلى كل شيء ، وأن المال قيمة ثابتة في كل العصور ، وأن الذي معه المال معه كل شيء ، وديناه جنة ، وأن الذي فقد المال ما ذاق شيئاً من طعم الحياة ، وديناه جهنم ، حينما تعتقد كذلك فهذا الإنسان هو أغبي الخلق ، لأنه اعتمد ميزاناً ما أقره الله عز وجل .

٢ - ميزان العلم والعمل :

الله عز وجل اعتمد ميزانين ، اعتمد

ميزان العلم ، وميزان العمل ، فقال :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الزمر الآية : ٩)

وقال :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(سورة المجادلة الآية : ١١)



هذا العلم ، وميزان العمل :

﴿ وَلكلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

(سورة الأنعام الآية : ١٣٢)

حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، أما موازين الأرض ، القوي معظم ومبجل ، والناس ينصرفون إليه ، وينصرفون عن الضعيف ، والغني مبجل ، ومعظم ، والناس ينصرفون إليه ، وينصرفون عن الفقير ، والإنسان الوسيم مبجل ومعظم ، وينصرف الناس إليه ، وينصرفون عن الدميم .

الأحنف بن قيس كان قصير القامة ، أسمر اللون ، أحنف الرجل ، مائل الذقن غائر العينين ، ناتئ الوجنتين ، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو أخذ منه بنصيب ، وكان مع ذلك سيد قومه ، كان إذا غضب غضب لغضبه مئة ألف سيف ، لا يسألونه فيما غضب ، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه .

٣ - من السعادة موافقة ميزان الشرع :

حينما تأتي موازينك مطابقة لموازين خالق السموات والأرض فأنت أسعد الناس ، أنت الموفق ، أنت الذكي ، أنت العاقل ، أنت الفالح ، أنت الناجح ، أما إذا اعتمدت ميزاناً ساقطاً عند الله عز وجل فلا تعجبك أموالهم ، ولا أولادهم .

﴿إِنَّ هُمْ إِلَا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾

(سورة الفرقان)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

(سورة الجمعة الآية : ٥)

﴿كَانَهُمْ خَشْبُ مُسَدَّةٍ﴾

(سورة المنافقون الآية : ٤)

٤ - تقييم النفس والناس بميزان الشرع :

أيها الإخوة ، البطولة أن يكون ميزانك في تقييم نفسك ، وتقييم من حولك مطابقاً لميزان الله ، أما إذا كان ميزانك أرضياً ، وشركياً ، ودنيوياً فهي الطامة الكبرى . لذلك البطولة أن تأتي يوم القيامة وفق موازين الله ناجحاً . من هو الغني بميزان أهل الأرض ؟ من كان عنده أموال طائلة ، من هو الغني بميزان الله ؟ من كان له عمل صالح .

﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾

(سورة القصص)

لما سقى للفتاتين سيدنا موسى قال :

﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

أنا مفتقر للعمل الصالح ، لذلك قال سيدنا علي : << الغنى والفقير بعد العرض على الله >> .
إذاً : الله عز وجل اعتمد ميزانين فقط ، اعتمد ميزان العلم ، واعتمد ميزان العمل العلم :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

والعمل :

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

وأنت في الحياة الدنيا اعتمد هذين الميزانين ، في تقييم نفسك ، إذا كنت مؤمناً يجب أن تتمتع
بمعنويات عالية جداً ، والمال لا تعباً به ، إن لم يستوِ عندك التبر والتراب فليست مؤمناً .

((والله يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ، على أن أترك هذا الأمر ما
تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه))

[السيرة النبوية]

ابحث عن ميزان الله يوم القيامة ، أنت بقدر استقامتك على أمره ، وبقدر خدمتك لخلقك ترقى عند
الله ، أما عند الناس بقدر ولاءك للأقوياء ، ومدحك لهم ، وانبطاحك أمامهم ترقى عندهم ، لذلك
المؤمن يعتز بإيمانه ، ولا يعبأ بأهل الدنيا :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) ﴾

(سورة الدخان)

﴿ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾

(سورة الشعراء)

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) ﴾

(سورة الدخان)

أيها الإخوة ، هذا شيء مهم جداً ، أن تعتمد على ميزان الله في تقييم نفسك ، وفي تقييم خاابتك .

((إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه))

[رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم ، عن أبي هريرة]

وفي تقييم شريكك عنده خبرات عالية جداً لكن دينه رقيق ، هذا يدخلك في المال الحرام ، أنت
بحاجة ماسة إلى ميزان دقيق جداً تزين به كل شيء .

٥ — ميزان الله هو عين العدل :



هذا الميزان يوم القيامة هو عين الحق ،
لا بد من أن أوضح :

تفسير الآيات ٨-٩ ، ميزان الحق العدل

ميزان العدل

فرق بين أن يكون الميزان عادلاً ، وبين أن يكون عين العدل ، فرق كبير ، لا بد من مثل :

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

(سورة التوبة الآية : ٢٨)

لم يقل : نجسون ، لأن الإناء إذا كان نجساً يُطهر ، أما النجس فهو عين النجاسة ، لا تطهر أبداً ، الفرق بين الصفة والمصدر كبير .

ولله المثل الأعلى : ميزان الله عز وجل ليس عادلاً ، إنما هو عين العدل ، هو العدل ، لذلك بعض العلماء قال : " الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع " ، الشرع هو الميزان على كل شيء ، مهما طرح مع المعصية من فلسفات ، ومرغبات ، وزخارف لفظية ، ومنطلقات نظرية ، وتطبيقات عملية ، والاختلاط حضارة ، والاختلاط يعمل تهذيب للمشاعر ، الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، ابحث عن ميزان الله .

﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾

ما معنى ؟

معنى : فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾

الحقيقة أن العمل له وزن .

١ - مثال تقريب لمعنى الآية :

هذا مثل للتقريب : إذا أنشأت (سيركاً) نصبته في بعض المصايف ، وجاءك دخل وفير ، إذا كنت في دولة إسلامية مضطهدة ، وتمكنت أن تخرع القنبلة النووية ، فأصبحت هذه الدولة قوية ، منيعة ، مرهوبة الجانب ، هل هذا الذي أنشأ سيركاً كالذي اخترع قنبلة يرفع بها شأن المسلمين ، مثلاً ؟ أي العاملين أثقل في الوزن ؟ العمل الثاني ، في هذه الظروف الصعبة أنا أتكلم ، أنت تنشئ جامعة لتخريج قادة للأمة ، أو أن تنشئ ملهى ليلياً ؟ بينهما فرق كبير جداً .

٢ - كل عمل له عند الله وزن :

فكل عمل له عند الله وزن ، تطعم إنساناً عمل صالح ، أم أن تدله على الله عمل أعظم ، فكل عمل له وزن ، بر الصديق عمل طيب ، لكن بر الوالدين عمل أطيب ، أن تعتني بأولاد أصدقائك لباقة وذوق ، لكن أن تربي أولادك الذين ليس لهم إلا أنت عمل أعظم ، كل عمل نعمله له عند الله وزن ، العمل يوزن بنيته ، قد يبتغي الإنسان من عمله أن ينتزع إعجاب الآخرين .

((من طلب العلم ليحاري به العلماء ، أو ليماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه
، أدخله الله النار))

[أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك]

كل عمل له ميزان ، أولاً بنيته ، ثانياً بحجمه ، ثالثاً بعمقه ، رابعاً بديمومته خامساً باتساع رقعته .
العمل له وزن ، هناك إنسان تطعمه وجبة واحدة ، وهناك إنسان تهيئ له عملاً يعيش منه طوال
حياته ، هناك إنسان يغض بصره عن الحرام ، لكن هناك إنسان يأخذ بيد زوجته إلى الله فيجعلها
مؤمنة كبيرة .

٣ - النية والعقبات والصوارف تحدّد وزن العمل :

المخلص كل عمل يعمل له وزن ، فتحت حانوتك ، نويت أن تربح من أجل أن تقتني سيارة ،
وأن تذهب إلى المصيف يوم الجمعة ، وأن يرتدي أولادك ثياباً جديدة تتباهى بهم ، أو من أجل أن
تسكن بيتاً له إطلالة جميلة ، ومساحته واسعة ، فيه تزيينات رائعة ، وقد تفتح حانوتك من أجل أن
تخدم المسلمين ، وأن تعطيمهم بضاعة جيدة بسعر معتدل ، الفرق كبير ، كل عمل له وزن ، وزن
بنيته ، وزن بقدر العقبات الموضوعه أمامه ، وزن بقدر الصوارف التي تصرف عنه ، وزن
بقدر التضحية من أجله ، وزن بقدر المتاعب التي حصلها الإنسان من هذا العمل ، وزن بقدر
المعارضين له ، كل عمل له وزن .
إذا أيها الإخوة :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة الأنبياء الآية : ٤٧)

الميزان بكفّته لا بكفة واحدة :

هنا تعليق لطيف : كل إنسان له ميزان ، وكل عمل له ميزان ، معالجة المرضى هذا عمل طبي ،
له ميزان ، بين أن تعالجه ، وتعنتي به عناية فائقة ، وأن تسأله كل ساعتين عن صحته إذا كان
من الأغنياء الميسورين ، وتنتظر أن تأتيك منه مكافئة مجزية ، أن يضع لك في الصحيفة ثناء
على علمك ، وعلى عمليتك الجراحية ، وبين أن تعنتي بإنسان فقير جداً في مستشفى عام ، لا
أحد ينتبه إليه فتعنتي به وكأنه في أرقى مستشفى ، هذا وزن ، وهذا وزن ، كل عمل له وزن ،
وكل إنسان له وزن .

مثل إلهي لوزن الناس :

الذي تجاوز الخمسين لما يراهق كالمرهقين الصغار :

((أبغض العصاة وبغضى للشيوخ العاصي أشد))

[ورد في الأثر]

الشاب إذا أخطأ فهو خطأ ، لكن الشاب غير محصن ، حوله نساء كاسيات عاريات ، زلت عينه ، أخذته عينه إلى منظر لا يليق به ، فتاب واسترجع ، هذا شيء ، والذي عمره خمسون سنة ، وعنده زوجة وأولاد ، عنده خمس بنات ، وزوجهم كلهم ، وهو مراهق؟! يتحرش بالسكرتيرة ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، هذا له وزن ، وهذا له وزن ، كل عمل له وزن وكل إنسان له وزن .
ورد في بعض الآثار :

((أحب الطائعين وحبى للشباب الطائع أشد))

[ورد في الأثر]

أول حياته ، كتلة حماس ، شهوات مستعرة ، آمال ، طموحات ، وهو يغض بصره عن محارم الله ، إن الله يباهي به الملائكة ، يقول : انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي .

أيها الإخوة ،

((وأحب المتواضعين ، وحبى للغني))

((المتواضع أشد))

[ورد في الأثر]

غني جلس مع عماله ، أكل معهم ، سألهم عن صحتهم ، عن أولادهم ، عن مشكلاتهم ، أنسهم ، طيب قلبهم ، جبر خاطرهم ، هذا غني بإمكانه يتفوق



ببرجه العاجي عنده سكرتير ، وسكرتار ، وسكرتور ، ممكن ، ولا أحد بإمكانه أن يصل إليه ، لا اتصال هاتفي التلفون معلق لأنه ، أو رقم خاص ، لا تعرف رقمه ، بين مدير معمل غني قاعد مع عماله يؤنسهم ، يتلطف معهم ، يحل مشكلاتهم .

((وأحب المتواضعين ، وحبى للغني المتواضع أشد ، وأحب الكرماء ، وحبى للفقير الكريم))

((أشد))

عنده برتقال قدمه لك .

((أحب الكرماء ، وحبى للفقير الكريم أشد))

الآن :

((وأبغض ثلاثاً وبغضى لثلاث أشد ، أبغض العصاة وبغضى للشيوخ العاصي أشد))

والله أنا لا أتكلم من فراغ ، والله تأتيني شكاوى من نساء مؤمنات طاهرات ، يشتكين على أزواجهن ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٥٨ ، مراهق ، هذه نكسة كبيرة جداً .

((أبغض العصاة ، وبغضى للشيخ العاصي أشد ، أبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر
أشد))

على ماذا ؟

((وأبغض البخلاء ، وبغضى للغني البخيل أشد))

كل إنسان له ميزان ، وكل عمل له ميزان .

صدقوا أيها الإخوة ، موازين الدولة عندها عشر مراتب ، وكل مرتبة ثلاث درجات ، مليوناً
موظف في ثلاثين درجة ، والله عز وجل يقول :

﴿ وَكُلِّدَ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

إذا كان لله ستة آلاف مليون إنسان فعنده ستة آلاف مليون ملف ، كل واحد له درجة ، بحسب
وضعه ، بحسب شبابه ، بحسب سنه ، بحسب حجمه المالي .
دعا الخطيب إلى التبرع لصندوق العافية ، دفع أحدهم ألف ، ومعه مئة مليون وآخر دفع خمسين
ليرة ومعه مئة ليرة ، شاب صغير ، رُبّ درهم سيق ألف درهم ، درهم تتفقه في إخلاص خير
من مئة ألف درهم ينفق في رياء ، درهم تتفقه في حياتك خير من مئة درهم ينفق بعد ممالك .
مرة ثانية : كل عمل له وزن ، له ميزان ، وكل إنسان له ميزان ، والموازين عند الله هي الحق
المطلق :

﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾

لا نقول : الوزن عادل ، الوزن يومئذ عين العدل ، لا نقول : الوزن محق ، الوزن يومئذ عين
الحق ، هو الأصل .

أحياناً يكون مثلاً صنجات في البلدية ، هذه مدروسة على الملي غرام ، فأى صنجة عند بائع
مزورة تُفحص على الأولى ، أو أمتار ، هناك متر بالبلدية على معشار الملي هذا المتر ، فإذا
شككنا بمتر ناقص سنتيمترين نأخذه إلى المتر الأصلي ، والأصلي هو الميزان ، هو المقياس ،
يكل المقاييس الدولة عندها موازين ، ومقاييس ، وأطوال ، وعبوة ، ومكاييل نظامية ، هذه
المكاييل والعبوة والأوزان والأطوال هي الأصل في تقييم كل ميزان آخر .

﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

إذا زبّن أحدهم بيته ، هذا ليس حراماً ، لكن وزن العمل يوم القيامة ضعيف جداً ، إنسان ضحى
بحياته من أجل الحق ، هذا شهيد ، هذا له بهذا العمل وزن كبير جداً .
العبرة أن كل عمل له وزن .

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾

لكن إنسانا وضعنا في ميزانه بيته ، وبيته جيد جداً ، ومركبته ، ورحلاته ، وسفرياته ، ونزهاته ، ما له وزن يوم الآخرة ، الآخرة ما لها وزن ، أما الوزن بالآخرة : يا رب أنا خدمت عبادك ، أخلصت لهم ما غششتهم ، ما ابتزرت أموالهم ، ما ألقيت في قلبهم الرعب ، أنا كنت محسناً لهم ، عرفتهم عليك ، دعوتهم إليك ، مسكتهم بكتابك ، حبيبهم بسنة نبيك ، أطعمت الفقراء ، كسوة العراة ، دللت عليك ، خدمت عبادك ، في الليل ناجيتك يا رب ، صليت الصلوات بأوقاتها ، أقبلت عليك ، تواضعت للخلق ، كنت في خدمة خلقك ، هذه أعمال لها وزن كبير .
لعلي استطعت أن أوصل لكم الفكرة ، الأعمال لها وزن ، هذه الأعمال توضع في ميزان الإنسان يوم القيامة ، فإن كانت أعمال جليلة :

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾

طبعاً هناك وزن ثقيل ، وفي دم ثقيل طبعاً ، الفرق بينهما كبير جداً .
إنسان يحمل ثلاث دكتورات ، يعد مرجع أول في بلاده في الذرة مثلاً ، إنسان يحمل أربع شهادات في الطب مثلاً ، إنسان أسس جامعة كبيرة ، إنسان له مئة مؤلف له وزن .
مرة كنت في مسجد ، وهناك رجلان يصليان ، فلما انتهيا من صلاتهما أنا هرعت إلى أحدهما ، وسلمت عليه سلاماً في أعلى درجة من الأدب والود ، صديقي الذي معي ما فهم ماذا فعلت ، إنسانان يرتديان ثوبا أبيض في الصيف ، ومتقدمان في السن ، فلما هرعت إلى أحدهما ، وسلمت عليه بأدب جم ما فهم صديقي من هما ، هذا الأول كان عميد كليتنا في الأدب العربي ، كان أعلم علماء المنطقة بالنحو ، أنا درست على يديه أربع سنوات ، أنا أعرف حجمه العلمي ، ومؤلفاته ، ومكانته العلمية ، أما هو فيبدو إنسانا عاديا ، بخريف العمر لبس ثوبا أبيض ، ويصلي المغرب في الجامع .

فكل إنسان له وزن ، لأن عمله كبير ، إنجازه كبير ، فلذلك :

﴿ وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

اسأل نفسك كل يوم : ماذا فعلت ؟



كل يوم اسأل نفسك : ماذا فعلت ؟ ماذا قدمت لآخرتك ؟ لون أن الله سألك يوم القيامة عبدي ماذا فعلت من أجلي ؟ ماذا فعلت ؟

بلا تحفظ معظم أعمال الناس من أجل دنياهم ، من أجل دخل يتمتع بالحياة ،

تفسير الآياتان 8-9 ، ميزان الحق العلم

يعيش مع الناس كواحد منهم ، لا يعنيه لا هداية أمة ، ولا حل مشكلة ، ولا معرفة بالله عز وجل ، فهذا الذي :

﴿ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

أي أنه ناجح ، والنجاح ممتع جداً ، ولا شيء يسعد كالنجاح ،

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

يجب أن تحاسب نفسك كل يوم ، أو يجب أن نحاسب أنفسنا كل يوم ، اليوم ماذا فعلت ؟ هل تصدقت ؟ هل دعوت إلى الله ؟ هل أمرت بالمعروف ؟ هل نهيت عن منكر ؟ هل أطعمت حيواناً جائعاً ، هل رعت أولادك ؟ هل كنت باراً بوالديك ؟ هل زرت فقيراً ؟ هل عدت مريضاً ؟ هل تصدقت على مسكين ؟ هل نشرت حقاً ؟ هل رددت باطلاً ؟ ماذا فعلت ؟ .

مستويات الموازين :

أيها الإخوة ، الموازين لها مستويات هناك ميزان يستعمل لوزن السيارات يمكن لو وضعت عليه مئة كيلو ذهب لا يتحرك إطلاقاً ، صمم لأربعين طناً ، ثلاثون طناً ومئة كيلو لا تفعل فيه شيئاً ، ولا يحركونه أبداً ، لكن هناك ميزان لو وزنت به ورقة ، وكتبت عليها كلمة محمد ترجح الكفة لوزن الحبر فقط ، وهناك ميزان لو وضعت



مستويات الموازين

يديك فوقه ، وحركتها عشرة ميلي تتغير الكفة ، لأن الهواء ضغط على الكفة ، هذه موازين حساسة جداً ، وكلما ارتقى الإنسان تكون موازينه حساسة .

النبي رأى تمرة على السرير فقال :

((والله يا عائشة ، لولا أني أخاف أنها من تمر الصدقة لأكلتها))

[مسند أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

أشتهى تمرة موجودة على السرير ، يبدو أنه طبق صدقة ، لعلها وقعت من هذا الطبق ، قال :

((والله يا عائشة ، لولا أني أخاف أنها من تمر الصدقة لأكلتها))

هناك إنسان عنده ميزان حساس ، لدرجة أنه لو لم يرحب بفلان ترحيباً كافياً لألقى اللوم على نفسه ، الذي عنده ميزان حساس ذنبه كأنه جبل جاثم على صدره ، والذي ما عنده ميزان حساس جريمته كالذبابة .

صدقوا أيها الإخوة ، والله بميزان دقيق لم أرَ أشد غباء من الطغاة ، يقتلون آلاف ملايين ، كيف ينامون؟! كيف سيواجهون الله عز وجل؟! شعوب تموت من الجوع ، وهم يستغلون ثرواتهم ، ينهبون أموالهم ، ينهبون بترولهم ، يفهرونهم ، يميئون ، ساعة سلاح فسفوري ، ومرة قنبلة ذكية، ومرة عنقودية ، ومرة خارقة وحارقة ، ومرة قنبلة توجه بالليزر ، ومرة قنبلة نابالم حارقة، ومرة طائرة ، ومرة قنبلة تلغي الاتصالات ، مرة قنبلة تبيد البشر وتبقي الحجر ، في موازين دقيقة :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

والله لا تغرق قطرة دم من آدم إلى يوم القيامة إلا وسيتحملها إنسان يوم القيامة ، لا قتل شعوب بأكملها .

قتل امرئ في بلدة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة في نظر

شعب بأكمله يباد إبادة ، ويقال : نتابع بقلق ما يجري هناك ، يتابعون بقلق هذا العمل ، ويقولون : هذا العمل غير مقبول ، غير مقبول فقط ، أو يستكرون ، هذا كلام مضحك :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

يأتي على القاضي العدل يوم القيامة ، أي قاضٍ؟ العدل ، ساعة يتمنى فيها أن لو لم يقض بين اثنين في تمرة :

((يأتي على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى فيها أن لو لم يقض بين اثنين في تمرة))

[أحد عن عائشة]

حقوق العباد ، قاضي يحكم بحسب المبلغ الذي قبضه؟ أخذه من أحد الخصمين؟ .

زيادة حساسية الميزان بزيادة الإيمان :

هناك موازين حساسة ، وموازن غير حساسة ، وكلما ازداد إيمانك يدق ميزانك ، تحاسب على النظرة ، تحاسب على الهمسة ، على تألق الوجه مع إنسان عاصٍ له مكانة ، سلمت عليه باهتمام ، واحترام ، وتعظيم ، وتبجيل ، والذين حولك رأوك مهتماً به أشد الاهتمام ، وهو غارق في المعاصي والآثام ، وقد تسلم على مؤمن طيب ، ورع ، مستقيم ، لكنه فقير ، بسلام متعجل ، ما سحب النبي يده من صحابي سلم عليه إلا كان النبي آخر من يسحب يده من يد الصحابي ، والله أعطاك ميزان هو العقل ، عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ، وأعطاك ميزان الفطرة ، إذا أخطأت تشعر بانقباض ، أعطاك ميزان العقل وأعطاك ميزان الفطرة ، ما في إنسان يرتكب خطأ كبير إلا يشعر بالأم .

كتب على سرير بألمانيا بفندق : إن تقلبت طوال الليل ولم تتم فالعلة ليست في فرشنا ، إنها وثيرة، ومريحة ، ولكن العلة في ذنوبك .

الصلاة ميزان :

الإنسان أحياناً لا ينام الليل ، يرتكب خطأ ، وليس مداناً في الأرض إطلاقاً ، لكنه لا ينام الليل ، والصلاة ميزان ، العمل الطيب تستطيع بعده أن تتصل بالله عز وجل ، لكن العمل السيئ قد لا تستطيع بعده أن تقبل على الله ، المؤمن عنده حساسية فائقة جداً ، تكون صلاته ميزاناً ، هذا لم سخرت منه ؟ لم دخلت هذه المرأة إلى المحل التجاري ، وأدرت معها حديثاً لطيفاً ؟ وملاّت عينيك من محاسنها ، والظهر أذن تفضل صل ، إذا ملاّت عينيك من محاسنها ، وأدرت معها حديثاً عاطفياً ، وأذن الظهر تشعر حالك في حجاب صار بينك وبين الله ، لأنك ما كنت مع الموقف الكامل .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ ﴾

(سورة القصص الآية : ٢٣)

كلمة واحدة ، الأنسات ماذا يفعلن هنا ؟ خير إن شاء الله ، لا ،

﴿ مَا خَطْبُكُمْ ﴾

هي ماذا قالت له ؟

﴿ لَأَنْسُقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ﴾

(سورة القصص الآية : ٢٣)

لو وقفت هنا ، طيب لم ؟ قال :

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٣)

(سورة القصص)

مباشرة ، أعطته الجواب بأقل كلام .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣٢)

(سورة الأحزاب)

فلذلك الصلاة ميزان ، وأقول لك هي من أدق الموازين ، وحينما تعمل عملاً طيباً تقف بين يدي الله مقبلاً ، إذا لم تستح بعملك أمام الله فافعل ما تشاء ، الصلاة ميزان .
والعقل ميزان .

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) ﴾

(سورة الرحمن)

احذروا ازدواجية الموازين والمعايير !!!

لماذا لما تشتري القماش تكليه بخط منحني مع المتر ؟ أما إذا بعته تشده حتى يتمزق ، لماذا ؟
عندك ميزان مزدوج ، لماذا تعامل زوجة ابنك بميزان وابنتك بميزان ، البننت ذنبها مغفور ، أما
زوجة الابن ذنبها غير مغفور أبداً ، لماذا تعامل هذا الموظف الذي في سن ابنك تماماً ، لماذا
تعامل هذا الموظف بميزان وابنتك بميزان ؟ تحمله أول ثوب ، والثاني ، والخامس ، لم يعد
يستطيع أن يحمل ، فتقول له : أنت شاب ، ثم يحمل ابنك أول ثوب والثاني فتقول له : بابا
ظهرك ، وأمام الصانع ، عندك ميزانان .

أمثلة واقعية من ازدواجية المكييل :

الحقيقة ليست فقط الدول القوية المتغترسة عندها مكيالان ، بل ثلاثة أرباعنا معنا مكيالان ، تكيل
لكل إنسان بمكيال ، فإذا كان عندك بضاعة فهي أفضل بضاعة في الأرض ، إذا قال لك زبون :
عندك بضاعة ، وهي ليست عندك ، تقول له : ماذا تريد من هذه ؟ قد تكون أحسن من بضاعتك ،
لكن أنت عندك ميزانان ، البضاعة ما عندك ، إذا تبخس فيها ، لو أردت أن أضرب أمثلة لا
تنتهي الدروس بأمثلة من يكيل بمكيالين .

قصة طريفة ، أن امرأة زوج ابنتها أتت بغسالة من أرقى مستوى ، فدعت له ، وأثنت عليه بشكل
غير طبيعي ، من غرائب الصدق في اليوم نفسه ابنها أتت لزوجته بغسالة أيضاً من نفس
المستوى فغضبت عليه ، هذه مثل القرودة قاعدة في البيت ، بنفس اليوم مكيالان .
حينما تكيل بمكيالين تسقط من عين الله ، ولأن تسقط من السماء إلى الأرض أهون من أن تسقط
من عين الله ، لا تكل بمكيالين ، عامل الناس كما تحب أن يعاملوك .

الخطأ في الوزن لا يتكرر ، أما الخطأ في الميزان فلا يصح :

إخوانا الكرام ، مرة ثانية الخطأ في الوزن لا يتكرر ، أما الخطأ في الميزان فلا يصح ، اجتهد
ألا تخطئ في الميزان ، الميزان غير صحيح لو استخدمته مليون مرة كل هذه الأوزان غير
صحيحة ، أما حينما تتوهم أن الكيلو كيلوين فهذا خطأ في الوزن لا يتكرر ، فالخطأ في الميزان
لا يصح ، والخطأ في الوزن لا يتكرر .

الآن :

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴾

(سورة الأعراف)

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ

أعماله كلها دنيوية ، أعماله كلها لصالحه ، لرفاهه ، لزيادة ثروته ، لاستغلاله على الناس :
﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

الخسارة يوم القيامة أكبر خسارة على الإطلاق :



أكبر خسارة لا أن تخسر مالك كله ، ولا أن تخسر بيتك ، ولا تجارتك ، ولا وكالة سحبك من يدك ، ولا منصب عزلت منه ، أكبر خسارة أن تخسر نفسك يوم القيامة .

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة الزمر الآية : ١٥) أكبر خسارة

هذه أكبر خسارة :

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

لذلك بالقارعة :

﴿ أَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأَمَّهُ

هَٰوِيَةً (٩) ﴾

(سورة القارعة)

يتجه إلى الهاوية إلى النار .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾

(سورة القارعة)

كل عمل له وزن ، يوزن بنيته ، بحجمه ، بعمق تأثيره ، بامتداد أمده ، باتساع رقعته ، بالعقبات التي أمامه ، بالصوارف التي تصرف عنه ، وهناك آلاف الموازين للعمل الواحد ، وكل عمل له وزن ، وكل إنسان له وزن :

﴿ وَالْوِزْنُ يُومِنُ الْحَقُّ ﴾

الله هو الحق .

والحمد لله رب العالمين